

المسيح الابن الابن الابن

الميلاد

متال القديس ساويرس عن الميلاد

مترجم من الكتاب من الجزء الثامن من مجموعة

Patrologie Orientales R. Graffin - F. Nau Les
Homélie Cathédrales de Sévère d' Antioche
Homélie L X III

Publiée et traduite par Maurice Brière, Paris

يقرأ في عيد الميلاد أو في عيد الغطاس

مقدمة

نما لاشك فيه أن هذا المقال كان حديثاً أو خطبة وجهها ذلكم الخليل المفوه القديس ساويرس البطريرك في عيد الميلاد . وهو فيه كالبحر الزاخر وصوته كالرعد المدوي البعيد المدى في شتى الافطار تبرق خلاله أضواء المعاني فتخطف الأبصار ولها التأثير العجيب . ولاغرو فهو يلقي باللكلئ . عندما تهرأ أمواجه . ترى مدى تأثير كلامه فيما قاله بشأن الاحتفالين السابقين وهو يفرص إلى العمق بحثاً عن اللكلى . يهديها إلى ابنائه . .

وطريق التأثير بالخطاب إنما يكون بإبراز المعاني في صورة تتميز بالوضوح والعمق معاً وبالذقة والبراعة في العرض كما يؤثر في سامعيه بشخصيته المتألفة وروحانيته الفاتحة وعلمه الغزير .

وليس ذلك لحسب بل هو كرئيس كهنة لا يوجه الخطاب كدورخ أو قصص بل كأب وطييب سماوي دفعت إليه أجل أسرار الرعاية وأعطى سلطان الخدمة ومفاتيح الحياة فضلاً عن ذلك فهو منار الهداية الأعلى والراعى الأمثل .

وفي الكلمة المكتوبة الأمر يختلف فلا يصل إلى النقاط



حضرة صاحب الغبطة أيدينا المكرم الإنبا كيرلس السادس
بابا وبطريرك الكرازة المرقسية

عرض مقدمة القديس ساويرس

عن المقال ٦٣

استهل القديس ساويرس المقال بمقدمة طويلة أبدى فيها - وهو البطريرك الراسخ والعلامة القديس والعبقري اللامع الذي طبقت شهرته مشارق الارض ومغاربها - تبيينه من الخوض في الحديث عن جلال الاحداث التي وقعت عند ميلاد المسيح - يقول للشعب المؤمن في ذلك الزمان :

لقد احتفلت مرتين بهذا العيد معكم ولم يكن بياني قاصراً عن أن يمد المؤمنين بالغذاء الروحي بل كانت الكلمة غنية جداً من هذه الناحية . وتتوقعون بمشاعركم التقية كلمات وفيرة متواضعة تقاولونها بالتأمل فيمكنكم تحليلها فيما بينكم لكي ترفعوها إلى علو لائق بالله .

ثم انتقل إلى الكلام عن الكيفية التي تأتي بها الثمار . فمما أن الارض الخصب التي يعنى بزرعها تغل بعد البذار سنبلاً مرتفعاً مليئاً هكذا الروح التي ترعاها القيادة الحسنة والمتدربة على الإيمان حسب الارثوذكسية . ثم يحث القديس المؤمنين قائلاً :

ان تثقي لكبيرة في أن تحضروا بنفس الحماس بعد أن فتحتم

البارزة من خلال السطور إلا القوى الملاحظة الحاد النظر، ويفيد في ذلك التأمل واستلهام ذكرى شخصية ذلكم الخطيب الذي كان يطلب من صاحب الاحتفال كلمة حية ، على حد قوله ، فلزم ليرز صور الحياة في المقال وضع العناوين اللازمة لتبيينه القارىء إلى ما يأخذه من بين السطور ، كما لحقنا التمهيد البارع الذي يستهل به القديس المقال بما يناسب القارىء .

وفي الترجمة توخينا أن نوصل المعاني الدقيقة التي قصد إليها المتحدث القديس ، ولم نهدف إلى الزخرف اللفظي أو الصورة الخارجية حتى تتقابل فطنة القارىء وتأمله عند الهدف المنشود .

† † †

لى قلوبكم وتقبلتم هذه الافكار تقبلا حسناً . وتدفق المعاني
البيئات .

« لا أخشى بعد ، أن إرادة الله تقودنى إلى الاحتفال بالعيد
الحالى للمرة الثالثة .

لو كان الحديث معاداً زردون بهذه الوجبة مثلكم مثل الذين
يتناولون أصنافاً من الطعام معدة من اليوم السابق ، ولو انتهجت
نهجاً جديداً فإني أخشى عندما أغوص إلى عمق النظريات ألا
أجد نهاية . ومع ذلك فلأن الذى نتطلع إليه فى الاحتفال الحاضر
هو الفنى التسدير فلا يجب أن نتوانى بل نطلب منه نحن الضعفاء
فهماً حياً وكلمة حية فهو يعطى الكلمة للذين يبشرون بسر الديانة
الكبير بقوة عظيمة .

« الرب يعطى كلمة لمبشرات بها جند كثير » مز ٦٨ : ١١٠ .
وبما أن الكلمة لى فسوف أعالج الموضوع الحاضر على نحو
ما تضرب الأرض الذهبية بالمعول . وبعد أن استخلص اليسير
أتناوله بالبحث وأفضله تفصيلاً ليكون منه موضوعاً
ذهيباً خطيراً .

ملا تدارلها الألسنة تلك الأحداث التى وقعت عند ميلاد

المسيح ؟؟ من الذى يحول دون فيض يسابيع الكلام الغزيرة ؟
ان الحديث عنه أجل من كل قول . ولو تركت اللسان العنان
يسمو نحو ما يتعلق بجمهر الله الكلمة أو كنت أطيرو وأخلق
دفعة واحدة بقدرة معبراً بالألفاظ عما فى خاطرى ، فأحسبني قد
أرتفعت عن الأرض بقدر ما يرتفع العصفور الصغير الذى يبدأ
فى الطيران من عشه منذ اللحظة الأولى . فهو يستطيع أن يطير فى
المناطق القريبة من الأرض ثم يعود إلى أسفل . لكنه ليس فى
استطاعته أن يطير فى الأجواء العليا . وهكذا الحال بالنسبة لنا
فعلى قدر اقترابنا من العلو نعرف إلى أى حد نحن بعيدون عنه .
وأتى إذا جعلت عينى على عمق تنازله وتجدده المملوء بحبة للبشر
لموقن انى لو جاهدت لاهبط دفعة واحدة بروحى إلى عمق ليس
له حدود يعترى الوهن والكلل ، كالسائح فى بحر أو الناظر من
أعلى قم الصخور . ان قسوة البصائر لتقصر عن ادراك العمق
المتبع ، نعم أنها تقصر عن الحوض فى مناقشة هذه المسائل .
وحينما ننزع إلى التأمل فى تنازل الله الكلمة فبعد موجات هائلة
من الألفاظ والافكار نصل إلى ما قاله سليمان الحكيم :

« كل هذا امتحنته بالحكمة قلت اكون حكيماً . اما هي
فبعيدة عني . بعيد ما كان بعيدا والعميق العميق من بجده »
جامعة ٧ : ٢٣ - ٢٤ .

ظهور الله الأبدى

نزل إلى الأماكن الدنيا ، في الأرض باتحاد اقنومه بجسدنا
ونفسنا العاقلة (١) .

من لا يبيض قلبه أو لا يأخذه العجب ؛ في رجفة متعجباً
وفي صمت يعطى مجداً لإلهنا . لقد أخضع نفسه لكل هذا التواضع
بارادته وهو غير محتاج ، انه غنى وكامل ، تنازل من أجل خلاصنا
فتجسد واحتمل في جسده الآلام التي قبلها لاجلنا حتى الصليب .

يا للعجب ! ان من يملك وحده الابدية ، النور المشع ، شمس
البر ، بسينا نحن الذين بخطيئتنا جانبنا العمار على جبلتنا الأولى
الإلهية ، فسقطنا من مسكننا الأول ، أعنى الفردوس المقروش
في الشرق ، ونفينا إلى الغرب فأصبحنا بعيدين تماماً عن النور
الإلهي ؛ بسينا ظهر في المشرق بعد أن اشترك بطريقة عجيبة في
كياننا - اشترك في بذار ابراهيم ، ونما حسب الجسد من أصل
يسى وداود وهكذا ظهر للذين كانوا جالسين في ظلمات الجهل
وظل الموت .

(١) في هذا المزمع وما يابيه يوضع لنا القديس البار الرجوة من سماع
الكلمة التي أشار إليها في مستهل الخطاب . وهو بدوره يقدم لنا تمهيداً رائعاً
يصل بالكلمة إلى علو لائق بالله على حد قوله . يبين لنا كيف تصل إلينا هذه النمار
وكيف تمس كياننا كما بين أنواعها في عرض رائع سهل للأخذ .

أجل ، من ذا الذي يستطيع بذمته أن يجمع بين وجهتي النظر
القائمتين دفعة واحدة فيجمع بين الارتفاع والعمق ؛ ان الكتاب
الإلهي يقول عنه أنه ، فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة
وكل اسم يسمى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل ايضا .
١ ف ٢١٠١ .

هو الكائن قبل كل الأشياء الذي به يوجد الكل ؛ وهو الذي
نزل إلى العالم .

+ + +

النبوات عن الظهور

بشر إرميا النبي قبل الوقت بهذا الظهور العجيب الذي يليق جداً بآفته قاتلاً: «ها أيام تأتي يقوم الرب واليهام لداود غصن بر فيملك ملك وينجح ويحرق حقا وعدلا في الأرض. في أيامه يغلص يهوذا ويسكن اسرائيل امنا وهذا هو اسمه الذي يدعوونه به الحرب برنا» اري ٢٣ : ٥ - ٦ .

ان هذه النبوة تختص بلا نزاع بالمسيح ، هذا ما يقوله كل المشتغلين بالكتاب المقدس ، حتى ولو جزئياً . لأنه بعد داود لم يملك أى ملك صديق ، نظراً لأن كل الذين خلفوا داود كانوا مذنبين ، باستثناء حزقيا ويوشيا ، وهما اللذان تنبأ بعدهما إرميا بهذه النبوة . فقبل الكلمات التي ذكرناها ، كان يقول عن يكنيا (كيناهو) الذي صار ملكاً بعد وفاة يوشيا : «هل هذا الرجل كيناهو وما . خرف مهان مكسور او انا . ليست فيه مسرة » لو ٢٢ : ٢٨ .

ومن جهة أخرى فإنه من المؤكد تماماً أن كلمات النبوة تنحدر إلى الزمن التالي والزمن المستقبل . ومع ذلك فإن الاسم «غصن بر» لن يعطى بمقدارة لاي أحد آخر من الذين تملكوا سوى للمسيح : فهو شمس البر الذي جعل أشعة معرفة الله تضيء لنا : كما مارس أيضا العدل والحق على الأرض حينما بسط على كل الأرض نواميسه

ذات العدالة العليا المطلقة : وفي أيامه أيضاً خلص يهوذا وسكن يعقوب في أمان .

في الواقع فترة انقسام الشعب إلى قسمين اسرائيل ويهوذا منذ زمن الملك سليمان ما تزال حتى النهاية ، فهناك مملكتان منفصلتان . لكن بصفة عامة كل الذين كانوا منفصلين قد خضعوا وأطاعوا على حد سواء بشاره المسيح وملكوته وأخذوا تيراً واحداً . وعلى أى حال فإنه بسبب يهوذا الذي ترجمته «المعترف» وبسبب اسرائيل الذي ترجمته «العقل الذي يرى الله» يطلق «يهوذا الذي خلص» على أولئك الذين في الوقت الحالي قد اقتربوا من الإنجيل وهم في منزلة المعترفين ، وتدعو «اسرائيل الساكن في أمان» على أولئك الذين آمنوا وجاوزوا مرحلة التأمل ، فهم بذلك يعرفون الله أو يرونه ، وهم ثابتون بالمعرفة آمنين وكأنهم يسكنون ويستريحون فيما عرفوه .

وهذان الفريقان يؤلفان جسد الكنيسة الوحيد ، وهما موضوعان تحت سلطان المسيح وحده الذي يعلن عنه إرميا النبي أيضاً بمقدارة أنه يدعى يهو صادق Josédéc وهو ما معناه في الترجمة اليونانية «براقه» والمسيح هو بر الله الأب وهو أيضاً الحكمة والقدرة . اسمع بولس الرسول الذي يكتب لاهل كورنثوس :

« ومنه انتم بالمسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من الله وبراً
وقداسة وهدى » ١ كور ١ : ٣٠ .

حينما تفياً إرميا بهذه النبوة عن يسوع قائلاً : « سوف يدعى
يهو صادق ، ، براته ، عرف بدقة تامة وبوضوح تام من هو الذي
يتبأ عنه من بين كلماته وكأنه يرى بعينه ذاتها أيضاً ، فاستثار
بظهور ذلك الذي كان حينئذ آتياً وهو الذي نراه الآن وهكذا في
فرحة صرخ قائلاً : انه في الانبياء ، وهو يشير إليه كما بالأصبع
قائلاً : انه هو الذي كان في الانبياء والذي أوحى اليهم والذي
جعلهم يطارق مختلفه يعلنون هذه النبوات المتعلقة بشخصه ذاته .

بخصوص ذلك الظهور ، ظهور الله الكلمة الذي تأنس لاجلنا ،
يقول زكريا النبي أيضاً بطريقة إلهية تماماً : « هوذا الرجل الغض
اسمه ومن مكانه يثبت ويبنى هيكل الرب » زك ٦ : ١٢ .

يا لعظمة دقة النبوة ! من الذي لا يسبح ذلك الذي نطق
بوضوح بهذه الكلمات قبل سنين عديدة بواسطة خدامه ذاته الذي
في آخر الأيام حقق الكلمات التي قيلت قبل الوقت ، اسمه شرق ،^(١)
يقول النبي فعلاً . أنه نور نور الآب ^(٢) . « كان النور الحقيقي

الذي ينير كل انسان اتيا الى العالم » يوح ١ : ٩ لذلك دعى باسم لائق .

فإن من خواص النور والشمس أن يشيرا من الأعلى ويسلطا
أشعتها على الكون لإضاءته وإشراكه في الضوء الذي ينبعث
منها . وان شمس البر ، النور الذي لا يدنى منه ، الذي وحده له
عدم اللوت ساكننا في نور لا يدنى منه ، ١ تي ٦ : ١٦ أخذ على
عاقبه أن يتجسد ويتأنس لاجلنا ، أشرق لنا حينما أخذ شكل
العبد وتنازل هو نفسه بارادته قد أشرق لنا . وقد تنازل هكذا
متواضعاً جداً وأظهر ذاته قليلاً قليلاً وأثارنا بكل لاهوته .

لذلك حينما بشر زكريا مقدماً بهذا العجب قال ، هوذا الرجل
الغض اسمه ومن مكانه يثبت ويبنى هيكل الرب ، زك ٦ : ١٢ .

وقد شرح داود هذه الفكرة بطريقة أخرى حينما تكلم عن
هذا الاشراق الذي يحدث في الدنيا فقال أشرق من المغرب ^(٣) .
(في الظلمة) . ويصبح هو أيضاً مع يوحنا المعمدان للذين كان
يتبعين عليهم أن يصيروا شهوداً لاشراقه : « اعدوا طريق الرب
اصنعوا سبيله مستقيمة » مت ٣ : ٣ ، مر ١ : ٣ ، لو ٣ : ٤ ،

(١) النور الفرنسي حرفياً il s'est levé à l'occident
واللفظ بذلك أنه اشرق الذين في الظلمة ووادي ظلال اللوت ، جنس
البشر الذي سطنته الخطيئة وهبط الى الجحيم ومن القارة والذود اشرق في الخلية .

(١) النور الفرنسي : Son nom est orient

ومن بيت لحم اشرق في الخلية .

(٢) النور الفرنسي : la lumière de la lumière du Père

« قوموا طريق الرب » يوحنا ١٠: ٢٣ فيقول داود : « اعدوا طريقا للراكب في القفار باسمه واعتصموا امامه » مز ٦٨ : ٤ .

في الواقع ولو أنه حجب مجده الخاص حسب التدبير الإلهي إذ أشرق في الظلمة ، إلا أنه مع ذلك الرب . لأنه حتى حينما صار انسانا لم يتخل عن كونه رب وإله . وفعلا لو أن المرثم أعلن أن الشمس تشرق في الظلمة ، فإنها لن تصير نفسها مظلمة ، بل العكس يبين ذلك أن في الغرب (أو في الظلام) كان الضوء المشرق . وبنفس الطريقة إذ كانت حالتنا غارية وكانت سوداء من جراء الخطية محرومة من العمل الإلهي ، فقد جعلها كلمة الله مشرقة حينما بارك عبورنا إلى هذه الحالة الجديدة حيث صرنا نفيض عدلا وطهارة وترفيز بالفضائل الأخرى ، بتجسده الذي به صنعت أعمال النور وكل ما هو خير بين البشر .

إذا أراد ملك أن يذهب إلى مدينة صغيرة غير معروفة وعاجزة تماما عن احتمال مجيئه ، فإنه في الغالب يجعل نفسه صغيراً ويزيل عظمة كبرياء المظاهر والمجد الذي يحيط به لكي يصير محتملا من هذه المدينة . ولكنه رغم ذلك لا يستطيع إلا أن يدخل تلك متنازلا بصفة عامة عن مظاهر رتبته . هكذا أيضا ابن الله ، كلمة الآب الغير مدرك ، الأبدى أراد أن يأتي في صورة

بشرية في هذا العالم وهو عنده على حد تعبير أحد أنبيائه كقنطة يملأه بطريقة إلهية ، هوذا الأمم كقنطة من دلو وكقنطار الليزان تحصب . هوذا الجزائر يرفعهما كدفعة « اش ٤٠ : ١٥ . على قدر ما كان ذلك مستطاعا ، فقد تواضع .

تواضع من مجده الذاتي وجاء إلى الإهانة^(١) . في ذلك فعلا أخلى ذاته وأصبح هكذا يمكننا الوصول إليه . وبأسلوب لا مثيل له ، وبطريقة فائقة خاصة تسمو على كل الطرق الأخرى ، دخل إلى عالمنا من باب إلهي ملكي ، يعني من البتولية ، بميلاده في الجسد من الروح القدس ومن العذراء والدة الإله .

† † †

(١) النسي الفرنسي : Il s'est humilié de sa propre gloire et est Venu à l'humiliation .

المخلص والتجديد

هذا الميلاد الفائق بدون بذار، الذي به أتى المسيح من سبط يهوذا الذي كانت مريم تنحدر منه بعائلتها، تنبأ عنه يعقوب أول الآباء في بضع كلمات تحوى كل غنى هذا السر قائلا: «يهوذا شبل، انه من جنسى، يا ابني، قد صعدت». انه يدعو المسيح شبلا لانه يملك الرتبة الملكية ويملك المناعة وفي الجسد يأخذ الجنس من سبط يهوذا. وقد اعترف لاجلنا (نحن الذين ليست لنا أية حرية لدى الله) قائلا: «في ذلك الوقت اجاب يسوع وقال احمدك ايها الاب رب السماء والارض لانك اخفيت هذه عن الحكماء والفهماء واعلنتها للاطفال. نعم ايها الاب لان هكذا صارت السررة امامك». مت ١١ : ٢٥ - ٢٦.

ان كلمة «يهوذا»، كما قلنا، معناها «المعترف». فكان يقول، وهو يتأمل في ذلك الذي اعترف لاجلنا بعينيه اللتين تريان المستقبل قبل الوقت بالرغم من بعد المسافة: «انه من جنسى يا ابني قد صعدت»، مطلقا جنسه ذاته على القديسة العذراء التي منها أتى المسيح ونما بدون بذار.

أين هم إذأ، عند سماع هذه الكلمات، أنصار حماقة افتيخوس؟ أفلا يتضمنون حتى إلى أول البطارقة الذي يقول: «انه من جنسى

يا ابني قد صعدت؟ لست هيء بمخافتهم. ونعترف بان جسد المسيح المقدس هو من جوهرنا.

ان مريم فعلا هي من جنسنا، وكذلك يعقوب أبوها الاول، لاننا مكونون من طينة واحدة كما يقول سفر أيوب: «هناك حسب قولك عوضا عن الله انا ايضا من الطين تفرضت» اى ٣٣: ٦. الذي خلق وكون جاء ليصلح ويخلق من جديد، ليست خليقة أخرى، لكن تلك الخليقة التي كانت قد سقطت وخضعت لفساد الخطية، وذلك بواسطة التجسد الإلهي، حينما أتى بنفسه مثل خميرة في كل مجموع الجنس البشرى، وصار آدم الثاني، وخلصنا بقيامته وجعلنا نعبّر من الحالة الأرضية الزائلة إلى الحياة السائية الغير فاسدة. أفلا تشعرّون انكم تحرّمون البشر من الخيرات التي من هذا النوع وتجصلونهم غرباء عن هذا التجسد الذي يعين به من سقطوا؟ أنظنون أنه يمكن أن يصيب جسدنا دنس وهو متحد بالله الكلمة؟ انه لا يوجد سوى شيء واحد يمكن أن يدنس، انه فساد الخطية.

† † †

الخليقة طاهرة

وأين يكون أثر للخطية ، حيث تحمد الله الكلمة بدون استحالة وحيث الأم عذراء حتى بعد الولادة ، وحيث ينزل الروح القدس ؛ لا تعرف رجلا والميل الجسدي مرفوض تماما وغير موجود ^(١) .

لماذا تتفاضون عن كل هذه النفحات الطاهرة ذات الراحة الإلهية الزكية وتصرفون عما هو زكي بسر شذاه الأنفس ، فتحدرون في وحل أفساركم الغير نقية، ولا أقول وحل طبيعتنا، لانه لو كان لنا غير طاهر ، لما كان يجب أن يكونه منذ البدء أيضا ذلك الذي صنع كل الأشياء جميلة وجيدة وحسنة جداً. لكن ان كانت هذه الخليقة طاهرة ولم تسبب لجابها ضرراً أو دنسا ، فكيف لا يكون التشكيل الثاني أطهر؟ وكيف لا يكون ، مع عظم الفارق ، هذا التشكيل الذي به أراد الخالق تعالى أن يظهر نفسه في الجسد لا تقا بالله أكثر؟

لكن احذروا من أن تلقوا بنا بهذا الأسلوب في روايات المتكلمين الخرافية، فإن من حسب الجسد عارج السر غير طاهر ،

(١) النفس الفرنسية : ou la concupiscence est entièrement exclue et absente et fait défaut.

فقد تصور أن له أيضا عالقا آخر ، كما كانوا يفعلون . أنهم في الواقع يستحقون الرثاء لسبب مزوج فهم يسرقون ويسرقون. أما نحن فإتانا نؤمن بأن الذي قال بخصوص خرافه : « السارق لا يأتي الا يسرق ويدبغ وبهلك . واما انا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم افضل » يو ١٠:١٠ ، يستطيع كذلك أن يجعلكم تستردون خيراتكم ، لأنكم سرقتم وخسرتم ، ويجعلكم تحيون ، لأنكم كنتم فعلا ضحايا عدم الإيمان .

وقول بولس الرسول من ناحيته يتفق مع كلمة يعقوب : « انه من جنسى يا بنى قد سعدت ، ^(١) . فهو يكتب إلى أهل غلاطية بهذه العبارات : « ولكن لما جاء ملء الزمان ارسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبني ، غل ٤ : ٤ - ٥ . »

+ + +

(١) النفس الفرنسية : c'est de ma race, mon fils, que tu es monté .

الله رفع المرأة

هذه الكلمة « من المرأة » تبين أن عمانوئيل ولد في الجسد من جوهر العذراء . لم يقل « بامرأة » ، حتى لا يعطى فرصة لدوى الأفكار الرديئة أن يسموا ميلاده عبوراً بطريقة رمزية ويؤكدوا أنه عبر كما في قنساء ومثل البرق . كذلك نفهم أنه كان هناك حبل حبل تام ، لكي نبين أن التجسد حقيقي وليس وهما .

« وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد » لو ٢ : ٦ .

وانى عندما أتأمل بعمق أكثر في الكتب المقدسة ، لاحظ سرّاً آخر أعظم . فأدم لم يكن قد خدعه الشيطان ، لكن المرأة ، بعد أن خدعت ، كانت هى الأولى في التعدي ؛ فان الله الكلمة الذى أراد أن يشفى هذا التعدي ، قد رفع المرأة إلى كرامة أعظم . لأنه حينما يشفى الله أو يصحح ، فإنه لا يحضر للسريش الشيء الاساسى فقط ، لكنه يمنحه علاوة على ذلك الغنى الذى لم يكن له . هذا ما صنعه أيضاً لاجلنا ، لم نخلصنا بقيامته من حكم الموت ومن الفساد لحسب ، بل قادنا أيضاً إلى ملكوت السموات بدلا من الفردوس وجعلنا أولاداً وورثة لله بدلا من عبيد .

ما هى إذا هذه الكرامة الاعظم التى حسبت المرأة مستحقة

لها ؟ أقول ذلك بوضوح . عندما يعطى بولس الرسول للرجل السلطة والمكان الاول ويخص المرأة بالمرتبة التالية ويقول انه يجب أن تكون المرأة متواضعة ، يقول : « لان الرجل ليس من المرأة . بل الراه من الرجل » ١ كور ١١ : ٨ .

لكنه يحق أن يقال عنا اتنا وجدنا بالمرأة وليس من المرأة ، لانه بالنسبة لنا فان الزرع يسبق ولا سيما اتنا به نتكون . أما المسيح الذى حبل به بدون بذار ، فبالعكس قد وجد ليس بالمرأة بل من المرأة وقد رفعها إلى رتبة رفيعة .

في بدء الخليقة كانت المرأة من آدم ثم فى التجسد كان المسيح آدم الثانى ، من المرأة . وهذه تفوق تلك لان التكوين الثانى لها أكثر من الاول .

فما اتكّن أيتها النساء حسبين مستحقات لمثل هذه الكرامة بواسطة العذراء والدة الإله ، فاعطين إذا لازواجكن نصائح جيدة تقودهم إلى الحياة الابدية . إذا وجدتن أنهم يتراخون فى القيام بواجبهم وفى اعلامكن ، فانصتن اليهم باحترام . وإذا كنتن تجدن أنهم على التقيض موثقون برغبات العالم وهمومه وانهم يحتقون بفكرة جمع الذهب ، وانهم يمحضون لسياليم دون أن يناموا ، ويتساءلون بقلق من هو المدين الذى سوف يرجون به فى السجن ،

ومن الذي سوف يجزونه أمام المحكمة ، وعلى بيت أي رجل
يتقاضون بحجة أنه مثقل بالدين وغارق في الموم ، أو من يعرفونه
من الثوب الضروري ، فلا تقضين معهم وقتنا مليتا بالبؤس
واللعة ، ولا تنشطن بكلها تكن كما بالهواء شعلة حجة المال . لكن
في فكر يستلم حجة الله ، وبشجاعة اسمتهم كلمات حكيمة واطفتن
فيهم الرغبة في التعلق بوفرة الاموال وحدها .

المرأة واصلاح الأسرة

يتسبط القديس في الحديث مصوراً ناحية اجتماعية من
نواحي عصره نجد لها مثيلاً في ظروف أخرى متعددة ، فيقول
مبيناً حوار الزوجة الفاضلة اللبقة .

لتقل كل واحدة منكن لزوجها : قد أعطانا الله بركة كافية
لنا ونحن نتمتع بالسلام والسعادة من فوق ؛ ومن كل ناحية تتدفق
علينا الاموال . واتنا نفرح فعلاً بأعمالك التي باركها معطى
الخيرات باضافته خيراته ذاتها . ومتى رأيت أنه سره هذا
الضرب من الحديث واستعذبه وأظهر نفسه حراً وأتغلى عن
تشده وقسوته فريدى بعد ذلك : يا صديقي أظهر لى إذا مشاعر
الحبة للبؤساء : لا تطالب بهذه الدقة سداد الديون ؛ اقبل جزءاً ،

وأخرت دفع الباقي قليلاً أو حتى اتركه ، إذا كانوا بؤساء للفاية .
نحن في السرور مقيمون ، أما هم في الدموع : نحن نشبع ونتمتع
بالبائس ، أما هم فليس لهم سوى الخبز . وربما كانوا يصيبون
الخبز بمتدار أو لا يبق بالحااجة .

من ناحيتي سأحضر في نفس الوقت بعض ما عندي أيضاً
مع اظهار كرمك ولن أحيرك بهوم هذه السنة : انى أتنازل
عن ذلك الثوب الذي كنت مزماً أن تصنعه لى أو هذه الحل
الذهبية أو هذا المبلغ لتلك الزينة الاخرى ؛ لن تشتري لى شيئاً
مطلقاً : ان الملابس الداخلية تكفينى : ان الرحة نحو الفقراء
تكون لى ثوباً مشرفاً جداً أكثر كثيراً من كل الثياب الغالية .
حسبى ذلك الجمال الداخلى الذى لا يذبل وما برح مقبولاً لدى الله ،
ليس ذلك الخارجى الذى يذبل ويسقط مثل الزهرة . بذلك
أكون لاولادى كنزاً ثميناً لا يستطيع أحد أن يأخذه . .

حينما يسمعك زوجك تتحاجين هكذا ، فانه حتى إذا كان
مثل الحير ان المتوحش فإنه خليق أن يغير نزعاته ويحسن لمدينيه .
لانه لا يوجد لإنسان حتى ولو كانت له كل الفصاحة وكل مهارة أهل
البلاغة ، يستطيع هكذا أن يقنع الرجال مثل النساء الشريفات
الظاهرات .

لذلك فاذا كنتين لا تفعلان الخير حينما يكون في استطاعتكن
 أن تفعلنه، فاسمعن الكتاب المقدس الذي يحسب لكن هذه الخطية:
 « فمن يعرف ان يعمل حسنا ولا يعمل فذلك خطية له ، يع ٤: ١٧ .
 كذلك حينما ترون أزواجكن يدفعون نغو اللذات ونغو
 الطرق السلوك التي تؤدي إلى الانغماس في اللذات إلى ، دفتيه ،
 Daphné^(١) ، ونغو الحياة الرخوة المسرفة التي به ، فاجعلن نصب
 أعينكن مجد والدة الإله وكتاب التعاليم المقدسة ، وبعد أن
 تستخلصي منه روحاً طاهراً ، اجعلنه يسكن فيكن . ادفعن أزواجكن
 نحو الخير وأعطين لهم درساً قائلات : « لشكرم حياتنا ، يازوجي ،
 بالنزاهة والطهارة ؛ وبحياة بيتنا والسلوك الطاهر تصنع من الزواج
 سرّاً ، ومن الفراش موضعاً طاهراً : لا تكن مسائل العلاقة
 الجسدية موضوعاً للبحث عن الرغبات الشريرة ، بل مسكناً
 لا ينطق به معطى من الله من أجل انجاب الأولاد . »

بهذه الكلمات تضعن حدّاً لتصرفات أزواجكن العنيفة البعيدة
 عن الفهم ، فضلاً عن ذلك فإن الملائكة سوف يتهللون من أنجلكن
 ويفرحون بخصوصكن وكذلك العذراء القديسة الطوباوية وكل
 جمع القديسين ، وسوف يكللكن المسيح بطريقة غير منظورة ،

(١) وهو شارع من شوارع اطاكية كان مشهوراً كمكان للهو .

وهو الذي يحارب من أجل الفضيلة ، الذي كان من المرأة وليس
 بالمرأة ، الذي بالمرأة وضع فيكن هذا الثبات وهذه الشجاعة .

أما فيما يختص بتربية الأولاد ، لا تتخاذلن إرضاء لآزواجكن
 حينما يصحبونهم إلى التمثيليات وإلى ما يفسد . اجتهدن أن تقدمنهم
 إلى الكنيسة . قاومن اللهو الضار الذي لا يليق بخصال القديسين
 المتألقة ، بما يؤثر فيهم ، وتمجتلهم قائلات بطريقة حازمة في نفس
 الوقت : « لا يستطيع من يصرف إلى التمثيليات وأمثالها خارج
 الناموس أن يحتفل بأعياد الله كما يجب . » فاذا كانوا يتربون في
 هذه التقاليد وهذه العادات حينما يكبرون ويبلغون سن النضوج
 ليس من ناحية العمر لحسب ، لكن أيضاً من حيث الفضيلة ،
 يتمثلون بالقائل : « دعوا الأولاد يأتون الي ولا تمنعوهم لان لتل
 هؤلاء ملكوت السموات » مت ١٩ : ١٤ . فإنهم يصيرون لكن في
 شيخوختكن سنداً وتمعزة في كل ضيق ، لانهم على بينة من الأقوال
 الأخرى : « اكرم اباك وامك كما اوصاك الرب الهك لكي تطول
 ايامك ولكي يكون لك خير على الأرض التي يعطيك الرب الهك »
 تث ٥ : ١٦ .

† † †

ماذا أوحى الحديث عن الميلاد

الى القديس ساويرس ؟

ترى انى لم أقل باطلا في مستهل هذا المقال ، اتا لو اتخذنا حبة صغيرة من منجم الحكمة ثم عملنا فيها الفكر ، لكونا منها موضوعاً كبيراً : وهما نحن بعد أن توسعنا كثيراً لم نجد نقطة واحدة من هذه الكلمات أو من هذه المعاني كما يقول أيوب :
« ها هذه اطراف طرقه وما اخفض السلام الذى نسمعه منه .
واما رعد جبروته فمن يفهم » اى ٢٦ : ١٤ .

تريدون إذاً أن نجمل هذا الحديث متازاً أكثر وأن نطعمه بمختلف الآراء العميقة كما نطعم بالأحجار الكريمه . ان النهار يتركنا ضرورة ونحن يجب أن نضبط طول المقال حسب الوقت ، لاننا ملزمون أن نعترف بالزمن في كل شىء . ومع ذلك فلكي لا نترك هذا الموضوع عالياً من كل زينة ، فسوف نزيده بحل لمسألة واحدة .

بما أن العذراء والدة الإله هي بعائلتها من نسل سبط يهوذا^(١)

(١) « فانه واضح أن ربنا قد طلع من سبط يهوذا الذى لم يتكلم عنه موسى شيئاً من جهة الكهنوت » عب ٧ : ١٤ .

وداود ، فكيف كان جبرائيل الملك يقول لها : « وهوذا اليصابات نسيبتك هي ايضاً حبل » لو ١ : ٣٦ . وهذه الاخيرة كانت زوجة زكريا الكاهن الذى ينتمى لسبط اللاويين . فى الواقع لم يكن يوافق التاموس أن يتخذ من ينتمى إلى سبط معين زوجة له من سبط آخر : لان الرب يقول على لسان موسى فى سفر العدد :

نصب العذراء

« فلا يتحول نصيب لبني اسرائيل من سبط الى سبط بل يلازم بنو اسرائيل كل واحد نصيب سبط ابائه . وكل بنت وورثت نصيباً من اسباط بني اسرائيل تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط ابيها لكي يرث بنو اسرائيل كل واحد نصيب ابائه . فلا يتحول نصيب من سبط الى سبط اخر بل يلازم اسباط بني اسرائيل كل واحد نصيبه » عدد ٣٦ : ٧ - ٦ .

ولهذا السبب حينما كتبت سلسلة نسب يوسف أدرجت الانساب حسب الرجال وليس حسب النساء ، ولا بد أن نسب القديسة مريم العذراء قد تبين في نفس الوقت ، فهي تنتمى بحسب التاموس لنفس السبط الذى ينتمى إليه خطيبها . كيف إذاً تكون القديسة العذراء نسية اليصابات ؟

زعم البعض أن ذلك لأنها كانتا إسرائيليتان وكانتا أصلاً
من نفس الشعب ، لذلك دعاهما الملك جبرائيل نسيبتين . وإنما
نسعى القريب الذي ينتمى إلى نفس الشعب نسيباً لكي نميزه
فندعو ذلك الذي ينتمى إلى نفس الشعب نسيباً . وذلك استناداً
إلى قول بولس الرسول في الرسالة إلى أهل رومية ، لما كان على
وشك الكلام عن الذين آمنوا بين الأمم الأخرى وأيضاً بين
اليهود ، فإنه يسمى اليهود انساباً قائلاً : « فإني كنت أود لو
أكون أنا نفسى محرماً من المسيح لأجل اخوتي انسيبائي حسب
الجسد الذين هم إسرائيليون ولهم التنبؤ والمجد والعهود والاشتراك
والعبادة والموايد » رو ٩ : ٣ - ٤ .

بيد أننا لا نجد في أي مكان شيئاً مماثلاً بخصوص اليصابات
ومريم : ولما كانت نساء كثيرات ينتمين إلى نفس الشعب ، فلم
يقبل الملك هذه الكلمة للعتراء مجرد علامة : « هوذا اليصابات
نسيبتك » . فإنه نظراً لأنه كان عادم الاعلانات الإلهية والأوامر
الروحانية ، لم ينطق بهذه الكلمة بصفة عامة . وكما كان الملك
الذي ظهر ليوسف في الحلم يقول له : « يا يوسف ابن داود »
عت ١ : ٢٠ . لكي يذكره بالوعد الذي وعد الله به أن يكون

المسيح من نسل داود ؛ هكذا الحال أيضاً هنا ، فعبارة « هوذا
اليصابات نسيبتك » هنا مملوءة بسر^١ يليق بالله . وحسب رأيي
إن هذا لم يفيت العتراء أيضاً لأنها كانت مملوءة من الروح
القدس لذلك جرت في الحال خاضعة بفرح إلى اليصابات .

+ + +

(١) سنذكره في الفقرة التالية .

المسيح الملك والكاهن الاعظم

حيث أن المسيح ملك الملوك ، المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الارباب ، ١٠ تي ٦ : ١٥ . هو الله ورب الكون ، وحيث أنه علاوة على ذلك كان مدعواً كاهناً أعظم بعد التأنس ، إذ أنه قدم ذاته ذبيحة وقرباناً لكي يظهر خطية العالم ، ولأنه هو نفسه يؤدي عنا اعترافنا ونحوه ونحو الآب : يقول بولس الرسول : « من لم أيها الاخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية لاحظوا رسول اعترافنا ورئيس كهنته المسيح يسوع » عب ١٠: ٣ .
فذلك كان قرار السماء أن يكون اجتماع بين سبط يهوذا الملكي وسبط لاوي الكهنوتي ، حتى يكون المسيح ، الملك والكاهن الاعظم ، من نسل هذين السبطين بعائلته في الجسد .

وفي الخروج : « واخذ هرون اليشبايع بنت عميناداب اخت نحشون زوجة له . فولدت له ناداب وابيهو والعازار ويشامار » خر ٦ : ٢٣ . قبل أن تخرج الوصية التي تنهى عن اتخاذ زوجة من سبط آخر ، اتخذ هارون رئيس الكهنة حسب التاموس زوجة من سبط يهوذا : اليشبايع (اليصابات) بنت عميناداب ، وكان عميناداب من نسل يهوذا بعائلته . وحتى لا يفكر أحد أنه

عميناداب آخر ، فإن الكتاب المقدس يطرح جانب الخطأ فيبين بوضوح قائلاً : بنت عميناداب اخت نحشون .

أظنوا تدبير الروح القدس وسحر الحكمة والتدبير كيف جعل امرأة زكريا ، والدة المعمدان ، نسبية مريم والدة الإله ، اليصابات : الامر الذي يعود بنا إلى الوراء حتى اليصابات (اليشبايع) تلك التي تزوجها هارون والتي بها حدث اتحاد السبطين ؛ والذي يعلن لنا بوضوح أنه باليصابات هذه يكون النسب مع مريم العذراء .

لا يقتل أحد أن الاسر لدى البابليين قد ألقي بليلة بين الشعب اليهودي ، حتى أنه منذ ذلك الوقت لم يكن هناك تمييز بين الاجناس وكان كل العائدين من بابل يجدون مشقة كبيرة في جمع أولاد هارون واللاويين السابقين الذين كانوا يهتمون بعادات أجدادهم ولم يشير المؤرخ إلى السبط الذي ينتمي إليه العائدون فقط ولكن أيضاً إلى البلدان والقرى .

وقد تكلم لوقا البشير أيضاً عن زكريا بهذه العبارات التي تبين لنا دقته : « كان في أيام هيروودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة ابيا وامراته من بنات هرون واسمها اليصابات ، لو ١ : ٥ .

ان ربنا يسوع المسيح الذي قال عن نفسه: «لانه هكذا يليق بنا ان نكمل كل بر» مت ٣ : ١٥ . لم يدع شيئا مما يختص بالدقة يسقط . لكنه بعد أن لاحظ كل الاشياء ، اعتبرها وأتمها ، لأن المسيح هو بداية ونهاية الناموس والانبياء وهو إله العهد القديم والجديد ، وقد أشرق لاجلنا أيضا في الجسد في آخر الايام . له المجد والقدرة مع الآب والروح القدس إلى أبد الدهور آمين .

† † †

أودع بدار الكتب تحت رقم ٥٢٥١ لسنة ١٩٦٩